التوظيف السياسي للدين . . . الإبراهيمية نموذجاً

أ . د . سعيد جمال الدين ما يان جه
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الدراسات الدولية / جامعة صون يات سان

الملخص

مع تغير توجهات السياسة الخارجية للعديد من دول العالم، تم توظيف الدين كأحد ركائز الحلول المطلقة لمعضلات سياسية . فأصبح هنالك ما يسمى بـ"مؤتمرات حوارات الأديان" . إلى جانب ما يدعى بمراكز "الدبلوماسية الروحية" التي رأت أن حل الصراعات ممكناً إذا أعيد تفسير النصوص الدينية بشكل تنويري يحقق السلام .

ومن المفارقات أن مدرسة السياسة الواقعية، التي لطالما رفضت وجود أي دور للدين في العملية السياسية، وحملت شعار فصل الدين عن الدولة، جاءت اليوم بمفهوم "الدبلوماسية الروحية" . وقد جاء هذا النهج كمدخل جديد لحل النزاعات الدولية، وكطرح بديل لنظرية صاموئيل هنتنغتون (Samuel Huntington) حول "صراع الحضارات"، ونظرية فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) حول "نهاية التاريخ" بل ليعكس نهجًا جديدًا في علم العلاقات الدولية كانت أهم ملامحه ظهور مفاهيم جديدة؛ كالتسامح العالمي، والأخوة الإنسانية، والحب، والوئام، كمفاهيم جديدة مطروحة داخل هذا الحقل. ومن الجدير ذكره، أنّ قضية "حوار الأديان" أدت دوراً كبيراً في بلورة مفهوم الدبلوماسية الروحية، والتي هي بدورها تشكل الأداة لتنفيذ مشروع الإبراهيمية .

الكلمات المفتاحية

الإبراهيمية – الدين – الدبلوماسية الروحية – حوار الأديان – السلام .

The political use of religion... the Abrahamic religion as a model

Prof. Dr.Saeed Jamal Al-Din Ma Yan Jah
Head of the Arabic Language Department at the College of International Studies / Sun Yat-san University

Summary

With the change in the foreign policy orientations of many countries of the world, religion has been employed as one of the pillars of absolute solutions to political dilemmas. So there are so-called "religious dialogue conferences". In addition to the so-called centers of "spiritual diplomacy" that saw conflict resolution as possible if religious texts were reinterpreted in an enlightening manner that would achieve peace.

It is ironic that the realpolitik school, which has always rejected the existence of any role for religion in the political process, and carried the slogan of separating religion from the state, came up today with the concept of "spiritual diplomacy". This approach came as a new approach to resolving international conflicts, and as an alternative proposal to the theory of "Samuel Huntington" about the "clash of civilizations", and the theory of "Francis Fukuyama" about the "end of history"; Rather, to reflect a new approach in the science of international relations, the most important features of which were the emergence of new concepts; Such as global tolerance, human brotherhood, love and harmony, as new concepts put forward within this field. It is worth noting that the issue of "interfaith dialogue" played a major role in crystallizing the concept of spiritual diplomacy, which in turn constitutes the tool for implementing the Abrahamic project.

Key words

Abrahamic - Religion - Spiritual Diplomacy - Interfaith Dialogue - Peace.

المقدمة

الإبراهيمية دعوة سياسية ذات طابع ديني تهدف إلى صهر الأديان السماوية الثلاثة في دين واحد جديد، بهدف حل الصراع في منطقة الشرق الأوسط عبر تصويره على أنه صراعاً دينياً فقط، وليس صراع قانونياً وحقوقاً مغتصبة. تقوم فكرة الإبراهيمية على بعدين، البعد الأول هو البعد الديني الذي يقوم على أن الأديان السماوية الثلاثة لها جذور تاريخية وعقيدية واحدة وهو دين إبراهيم، ومن ثم فإن عودة الناس في منطقة الشرق الأوسط إلى الديانة الإبراهيمية سوف تنهي حالة الصراع الموجودة بين الديانات السماوية الثلاثة ومن ثم يتحقق البعد السياسي وهو الوصول إلى السلام وشرعنة الوجود الإسرائيلي في المنطقة. والغريب في الأمر أن هذا المشروع قد طرح من قبل دول علمانية تنادي بفصل الدين عن الدولة، ثم تعود إلى استخدام الدين كأداة لتعزيز القوة الناعمة، متناسين أن شعوب هذه المنطقة يؤمنون بديانات سماوية نزلت من السماء، ولا يمكن أن يتقبلوا ديانة جديدة يكتبها البشر، كما أن الدول العربية التي وقعت على الاتفاق هي دول ليست في حالة حرب مع إسرائيل أصلاً، وليس لها أية حدود مشتركة معها.

والإبراهيمية نسبة إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) وهو مؤسس الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام). فيشار إليه باسم (אַבְרָם أبرام ومعناه الأب الرفيع) في اليهودية، و (אברהם أي أبراهام) في المسيحية، و(إبراهيم) في الإسلام، على فرض أنها جميعاً تشترك في الإيمان بإبراهيم، والانتساب إليه، والاعتراف بمكانته الكبيرة، ينتشر اتباع الديانات الإبراهيمية في العالم كله، ويشكلون حوالي ٥٣٪ من سكان العالم.

ولد إبراهيم في بابل في العراق، ثم هاجر من أرض الكلدانيين (العراق) إلى أرض الكنعانيين في بيت المقدس (فلسطين) وهو جد اليهود من ابنه إسحاق وزوجته سارة، وهو جد العرب من ابنه إسماعيل وزوجته هاجر. يظن أنه عاش في القرن الخامس عشر، أو القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد.

تقول الرواية اليهودية أن الله قد إمتحن إبراهيم حيث أمره بأن يقدم ابنه إسحاق قرباناً له، ولكن، وبعدما قرر إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق، وبعدما تردد جاءه ملك من الله ومنعه من ذلك، وهذا مثال على الامتحان الكبير من الخالق وعن التضحية الكبيرة عند الإنسان هكذا ورد في التوراة.

أما في القرآن الكريم وعند المسلمين، فإن إبراهيم رأى في منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل جد العرب، وهنا لابد من الإشارة إلى هذا الخلاف لأنه ستترتب عليه أمور كثيرة في فهم المنطقة ومعتقداتها .

سارة هي زوجة إبراهيم عليه السلام، لكنها لم تنجب له أولاداً في البداية، لذا طلبت منه أن يتزوج من هاجر التي يقال إنها كانت خادمتها لكي تنجب له ولداً، ولكن وبعد أن تزوج إبراهيم من هاجر انجبت سارة ابنها إسحاق وهي في الثمانين من عمرها .

ثم بعد ذلك انجبت هاجر ابنها إسماعيل، ولكن وبطلب من زوجته سارة قام إبراهيم بطرد ابنه إسماعيل إلى الصحراء، وبذلك أصبح إسماعيل المؤسس الأول للقبائل العربية، ونسبة إلى هاجر فقد أطلق البلغار كلمة "الهاجريين" على جميع المسلمين في العالم.

والإبراهيمية تشمل الديانات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، وهذه الديانات الثلاث قد نزلت في المنطقة العربية، وبشكل أدق في منطقة الشرق الأوسط، فاليهودية ظهرت في العراق، في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وهو ما يسمى بعصر الآباء وفقاً للديانة اليهودية والآباء هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وربما موسى عليه السلام، إبراهيم كان أول الآباء وقد هاجر من منطقة تقور في العراق إلى فلسطين وهي الهجرة الأولى وفقاً للديانة اليهودية ، والمسيحية كانت في بلاد الشام والإسلام كان في شبه الجزيرة العربية، ولدى المسلمين ثلاثة أماكن مقدسة، هي: المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة والمسجد الأقصى في فلسطين.

بنو إسرائيل

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، ويعقوب هو الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، وكان يسكن في منطقة فلسطين هو وأبناؤه.

أولاً: ظهور المصطلح

صحيح أن أكثر الناس سمعوا بـ "الإبراهيمية" بعد توقيع "اتفاق إبراهيم" بين الإمارات والبحرين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، برعاية الولايات المتحدة في عهد الرئيس ترامب، إلا أن هذا المصطلح كان موجوداً قبل ذلك بكثير فعلى سبيل المثال: ظهر مصطلح "الإبراهيمية" لأول مرة في الغرب في العام ١٨١١ عندما جرى الحديث عن "الميثاق الإبراهيمي" الذي يجمع بين المؤمنين هناك.

وفي العام ١٩١٩ دعا المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" (Louis Massignon) إلى الإبراهيمية، وتجلى ذلك في كتاباته عن الحلّاج، وإدارته لمجلة العالم الإسلامي وعمله كمدرس في جامعة القاهرة[١].

وفي عام ١٩٤٩ نشر لويس ماسينيون مقالاً بعنوان: "الصلوات الثلاث لإبراهيم أب كل المؤمنين"[٢]، ثم بعد ذلك انتشر هذا المصطلح وأصبح متداولاً.

وعند توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٨ برعاية الولايات المتحدة الأمريكية، قال الرئيس كارتر: "دعونا نتركِ الحربَ جانباً، دعونا الآن نكافئ كلَّ أبناءِ إبراهيم المتعطشين إلى اتفاق سلامٍ شاملٍ في الشرق الأوسط، دعونا الآن نستمتعْ بتجربةِ أن نكون آدميين بالكامل، وجيراناً بالكامل، وحتى إخوة وأخوات"[٣].

وفي العام ١٩٧٩ تحدث المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون" (Maxime Rodinson) عن الإبراهيمية في كتابه "العرب".

كذلك طرح المفكرُ الفرنسيُّ روجيه جارودي (Roger Garaudy) نوعين من الوحدة بين الأديان: وَحدة صغرى: وتشمل توحيد الديانات السماوية الثلاث (الإبراهيمية). ووَحدة كبرى، وتشمل جميع الأديان حتى الوثنية، وكذلك تشمل الملحدين حيث يؤمنون بالإنسان على حد قول جارودي[٤]. وعندما سئل روجيه جارودي عن دينه قال: على دين إبراهيم، ولمّا لم يكن إبراهيم يهودياً ولا مسيحياً، ولا بوذياً ولا مسلماً بالمعنى التاريخيّ للكلمة؛ فأنا كذلك: مسلم بالمعنى العام وليس الخاص لهذه الكلمة، وكوني أصبحت مسلماً، فهذا لا يعني أني تخليت عن اعتقاداتي الدينية والفلسفية السابقة، والإسلام بهذا المعنى يجمع بين أتباع كلِّ الرسلِ منذ عهْد إبراهيم، أي الذين نادوا لدين التوحيد.

وفي عام ١٩٨٥ نشر الرئيس جيمي كارتر(Jimmy Carter) دراسة في كتاب حمل عنوان "دم أبراهام"، بتأثير واضح لما يُعرف بالصهيونية المسيحية التي تُقارب التاريخ من زاوية الروايات اليهودية التلمودية وأسهب كارتر في كتابه في مناقشة المشترك الإبراهيمي بين أبناء المنطقة كحلّ للوصول إلى "السلام".

وعند توقيع اتفاق وادي عربة بين الأردن وإسرائيل في عام ١٩٩٤ قال الملك حسين: "سوف نتذكر هذا اليومَ طيلةَ حياتِنا، لأجل أجيال المستقبل من الأردنيين والإسرائيليين والعرب والفلسطينيين، كلِّ أبناء إبراهيم"(٥).

بدأ التنفيذ العملي لفكرة "الإبراهيمية" في العام ٢٠٠٠، وفي العام ٢٠١٣ بدأت وزارة الخارجية الأمريكية بالعمل على مؤسسة تنفيذ هذه الفكرة. وفي العام ٢٠١٣ أشار الرئيس باراك أوباما إلى الإبراهيمية وذلك في تقرير "الدين والدبلوماسية" الذي أصدره معهد بروكنجر الدوحة(٦).

وفي العام ٢٠٢٠، قام أمين عام رابطة العالم الإسلامي السعودية محمد العيسى بالصلاة في معسكر أوشفيتز الإسرائيلي ترحماً على أرواح من قضوا في الهولوكوست تحت شعارات التسامح والانفتاح، وفي العام ٢٠٢٢ قام محمد العيسى بزيارة معبد بوذي في تايلند وحضور الصلاة فيه. وفي هذا العام قام ولي العهد السعودي محمد بن سلمان بتعيين محمد العيسى خطيباً لعرفة، حيث ألقى الخطبة لحجاج بيت الله الحرام وأمهم في صلاتهم.

ثانياً: الإبراهيمية نوع من الحرب الفكرية

ظهرت فكرة الإبراهيمية من جامعة هارفارد، ثم قامت جامعة فلوريدا بتبني الفكرة وتحويلها إلى مشروع سياسي، ثم قامت بعض المراكز البحثية التابعة لجهاز المخابرات الأمريكية (سي أي أيه) مثل مؤسسة (راند) بالترويج لها، بعد أن حصلت على الداعم المالي للمشروع من أسرة روكفلر (Rockefeller) التي تبنت الفكرة ودعمت بالمال، وبقي التنفيذ الذي قامت به وزارة الخارجية الأمريكية بالاعتماد على القوة الناعمة للولايات المتحدة الأمريكية (٧).

يتمثل الخطر الأبرز لما يسمى بـ"مبادرة طريق النبي إبراهيم" في ملكية الأراضي التي يعبر المسار من خلالها على طول الطرق التي سلكها النبي إبراهيم. ومع ذلك فقد تمت تسويتها من خلال مفهوم "الأرضية المشتركة بين الأديان الإبراهيمية"، والتي تستلزم تدويل الملكية، أي أنها لن تكون مملوكة لسكانها الحاليين فقط،

ومن ثم فإن الهدف من المسار هو التخلي عن الشعور القومي والفردي بالملكية، في مقابل ترسيخ مبدأ المواطنة العالمية والاحترام المتبادل لتحقيق الاستدامة، وهو أمر سيكون له تأثير، خاصة فيما يتعلق بقضية القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية بها، في ظل احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية.

ولأن الدين يُعد مكوّناً رئيساً في المجتمعات العربية، فقد تم العمل على توظيفه بما يخدم مصلحة الدول التي طرحت هذا المشروع وأهدافها، فاتجهت إلى تبني نمط ديني معاكس تماماً لروح الإسلام الفاعلة أو (الحركي) كما يطلق عليه البعض، متبنية النهج الصوفي، المتسامح مع أي تغيير جذري تتبناه الحكومات، والذي لا تخرج خطاباته عن عباءة السلطة السياسية مهما ضاقت العباءة وخرجت عن محددات التشريع ومقاصد الدين ،وللإبراهيمية منظمات وجمعيات، أهمها[٨]:

١. مشروع شبكة الشبكات لوزارة الخارجية الأمريكية.

٢. المسار الدبلوماسي (track diblumasiun) : هي عبارة عن حلقات تفاوض غير رسمي برعاية الخارجية الأمريكية، جمع بها ١٠٠ دبلوماسي من رجال الدين من كل الأطياف للديانات السماوية الثلاثة، وربطها بمجموعة من السياسيين، ويجمع كل ما هو مشترك بين الأديان في كتاب واحد يحل محل الكتب السماوية الثلاث، وكل ما يوجده رجال الدين من مشتركات يترجمه هؤلاء السياسيون إلى تطبيقات سياسية، ثم تتحول تلك المفاوضات إلى مفاوضات رسمية برعاية الخارجية الأمريكية، التي هي لديها تنسيق مسبق مع حكومات الدول الأخرى التي يراد إدراجها في ذلك المشروع، وبناء على كل هذا يقوم السياسي المحلي بطرح مبادرة حوار الأديان.

٣. الصوفية العالمية (Global Sufism): هي منظمة عالمية تضم كل من لديه إيمان بفكرة وإن كانت غير دينية، وأغلبهم قادة روحيين دربتهم الولايات المتحدة، للانغماس بالمجتمعات العربية والعمل على كسب الجماهيرية ويكون لهم أتباع، ويتم الترويج لهم عبر وسائل الإعلام كقادة للمجتمع ويمتلكون انفتاح على العالم الخارجي، ويعمل هؤلاء القادة على التصدي لمبادرات حوار الأديان، وتجاهل وجود المراجع والقادة الدينيين الحقيقيين، لذلك عمد بعض الأشخاص بالاعتراض على زيارة البابا للمرجع السيستاني دون غيره.

٤. المراكز التدريبية (Training centers): وهي مراكز متعددة منها عالمية ومنها محلية، يتم استقطاب الشباب بها لتدريبهم تحت مسمى صناعة قادة المستقبل، مثال ذلك مراكز الدراسات الإبراهيمية في جامعة بنسلفانيا وجامعة فرجينيا، أو جمعيات توني بلير للحوار الإبراهيمي، وهي جمعيتان واحدة مختصة بشؤون الشرق الأوسط، والأخرى مختصة بشؤون أفريقيا، ومهمتها دعم الحوار الإبراهيمي على الأرض، وإيجاد ودعم تطبيق شعائر مشتركة بين الأديان، مثال على ذلك صلاة الكورونا العالمية التي دعي لها من قبل بعض الجماعات الدينية في الديانات الثلاث.

٥. أسر السلام (Peace families): وهي جماعات محلية ترتبط بجماعات خارجية، مهمتها الوساطة لحل القضايا المحلية ذات الخلفية الدينية، مثال على ذلك: نزول هذه الأسر وهم يحملون شعار الدين العالمي، لإزالة الألغام من وادي الأردن أو (غور الأردن)، الذي يقع في المنطقة الحدودية الفاصلة بين المملكة الأردنية الهاشمية على الضفة الشرقية لنهر الأردن من ناحية، وجزء من المنطقة الشمالية لإسرائيل.

ثالثاً: الهدف من طرح مشروع "الإبراهيمية"

على الرغم من أن "الإبراهيمية" في ظاهرها دعوة دينية تهدف إلى توحيد الديانات السماوية الثلاث في ديانة واحدة هي "الديانة الإبراهيمية"، إلا أن الهدف الحقيقي لها هو هدف سياسي يسعى إلى إيجاد مخرج لوجود إسرائيل في المنطقة العربية عبر محاولة إيجاد قواسم مشتركة بين الديانة اليهودية والمسيحية والإسلام خدمة للأهداف السياسية المرسومة ومن ثم، إزالة الصراع والخلاف بين المسلمين واليهود كما يعتقد أصحاب هذه الدعوة، ومن أجل ذلك فقد أقيمت مجمعات دينية روحية تضم دوراً للعبادة لاتباع الديانات الثلاث حيث يكون هناك كنيس وكنيسة ومسجد، ومن الأمثلة على ذلك "البيت الإبراهيمي" الذي بني في أبو ظبي في الإمارات العربية المتحدة، وكان الرئيس المصري الأسبق أنور السادات قد طرح فكرة بناء "مجمع الأديان" في (وادي الراحة) بسيناء، لكن هذه الفكرة لم تتحقق وتم اغتيال السادات قبل ذلك[٩].

ومن الأفكار الإبراهيمية أيضاً فكرة طباعة القرآن الكريم والإنجيل والتوراة في غلاف واحد وأن يكون هناك صلاة واحدة تجمع بين أتباع الأديان الثلاثة تسمى "الصلاة الإبراهيمية" كالصلاة التي دعا إليها البابا بقرية

"أسِيس" في إيطاليا بتاريخ ١٩٨٦/١٠/٢٧ . والصلاة في مدينة أور أثناء زيارة البابا إلى العراق في شهر آذار ٢٠٢١ وشارك بها مصلون من اليهود والمسلمين فضلاً عن المسيحيين. وهنا نرى أن الإبراهيمية جاءت كطرح بديل ربما لنظرية "صدام الحضارات" التي طرحها صموئيل هينتنغون، ونظرية "نهاية التاريخ" التي طرحها فرانسيس فوكوياما، وهي تكرس لتوجه جديد في علم العلاقات الدولية يقوم على التركيز على مفاهيم جديدة، مثل: التسامح العالمي، والأخوة الإنسانية والحب والوئام كمفاهيم جديدة مطروحة داخل هذا الحقل.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإبراهيمية لا يمكن أن تكون ديناً جديداً لأن الأديان من عند الله، كما أن القرآن الكريم كان قد أشار إلى ذلك صراحة بقوله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"(١٠) .

وهكذا نرى أن "الديانة الإبراهيمية" ليست سوى مجموعة من القيم الأخلاقية المشتركة كالمحبة والتسامح والمساواة، وهي بعيدة كل البعد عن الديانات السماوية، حتى أن أتباع هذه الديانة يقولون إنه ربما في المستقبل ستنظم ديانات أخرى كالبوذية وغيرها .

وهنا يجب أن نتساءل: كيف تكون الولايات المتحدة والدول الغربية، وهي الدول التي طالما نادت بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة، كيف تعود إلى استخدام الدين وتوظيفه توظيفاً سياسياً ؟ والجواب هو أن الإبراهيمية لم تكن سوى أداة من أدوات القوة الناعمة التي تسعى تلك الدول من خلالها إلى إيجاد حل لصراع طويل الأمد بعد أن عجزوا عن حله باستخدام القوة الصلبة فقط .

رابعاً: من المستفيد من طرح هذا المشروع؟

بما أن كل من الديانة الإسلامية والمسيحية تؤمن بالديانة التي قبلها ، فالإسلام يؤمن باليهودية والمسيحية، والمسيحية تؤمن باليهودية والمسيحية، أما اليهودية فهي الديانة الوحيدة التي لا تؤمن بالإسلام ولا بالمسيحية ومن ثم فعند البحث عن قواسم مشتركة بين الديانات الثلاث فإن هذا يعني أن تعاليم الديانة اليهودية هي التي ستكون حاضرة في هذه الديانة الجديدة (الإبراهيمية)(١١) .

لذا فقد انتقد شيخ الأزهر هذه الدعوة، مبيناً أنها دعوة لمصادرة حرية الاعتقاد والإيمان والاختيار، مؤكداً أن اجتماع الناس على دين واحد أو رسالة سماوية واحدة أمر مستحيل، حيث يختلفُ الناس اختلافاً

جذرياً في ألوانهم وعقائدهم وعقولهم ولغاتهم" . مشيراً إلى الفرق بين احترام عقيدة الآخر والاعتراف بها، وأن ذلك لا يعني إذابة الفوارق بين العقائد والمِلل والأديان. وشبّه شيخ الأزهر هذه الدعوة بالعولمة، "التي تبدو في ظاهر أمرها كأنها دعوة إلى الاجتماع الإنساني وتوحيده، والقضاء على أسباب نزاعاته وصراعاته، إلّا أنها في داخلها دعوةٌ إلى مُصادرة أغلى ما يمتلكه الإنسان وهو حرية الاعتقاد والاختيار."

وهنا يمكننا القول: إن للإبراهيمية وجهان متناقضان، الأول: يقر بوجود الأديان الثلاثة ومصداقيتها، ووجود قواسم مشتركة بينها، أما الوجه الثاني فهو يدعو إلى إلغاء تلك الأديان وإيجاد دين جديد يستمد تعاليمه من القواسم المشتركة بين الأديان الثلاثة.

خامساً: "الدبلوماسية الروحية" هي الأداة لتنفيذ مشروع الإبراهيمية

كان قد بدأ الحديث عن "السلام الديني العالمي" المقرّر الوصول إليه عبر مفهوم "الدبلوماسية الروحية"، وجاء طرح "المشترك الإبراهيمي" أو "الديانات الإبراهيمية".

ويمكن تعريف الدبلوماسية الروحية بأنها: مسار من مسارات التفاوض، أو الدبلوماسية غير الرسمية التي «تتم بين الفاعلين غير الحكوميين والمهنيين، لحل الصراع وحفظ السلام، فهي ساحة للتفاوض تتكون من مجموعة من المهنيين، من قِبَل المنظمات غير الحكومية، كمحاولة لتحليل ومنع وحل وإدارة الصراعات الدولية، بواسطة الفاعلين من غير الدول»[١٢]. فالدبلوماسية الروحية هي الوسيلة لتنفيذ "الإبراهيمية" من خلال العمل على التنسيق والجمع بين القيادات السياسية والروحية في إطار المشاركة المباشرة بينهما.

وكثر استخدام مصطلح الدبلوماسية الروحية خلال السنوات الأخيرة في الخطابات الدبلوماسية العالمية، وفي أدبيات بعض مراكز الدراسات والجامعات في الولايات المتحدة الأميركية و"إسرائيل". قد تكون المصطلحات "برّاقة"، ظاهرها رحمة لكن مضمونها ظُلمة وتضليل، فهي تُستخدم لتوظّف الدين في خدمة السياسة الخارجية الأميركية والمشروع الصهيوني في المنطقة.

وانتشر في الآونة الأخيرة في العديد من دول العالم مراكز بحثية أطلقت على نفسها اسم مراكز الدبلوماسية الروحية، وهي ممولة من قبل بعض الحكومات التي تبنت هذا المشروع، وبعض المؤسسات الدولية مثل: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والاتحاد الأوروبي[١٣].

لقد طرحت مشروعات عدة لدعم فكرة الإبراهيمية، منها :

- المشروع الذي طرحته كلية الحقوق في جامعة هارفرد بدعم من الدولة الراعية لهذا المسار والتي هي الولايات المتحدة، في مطلع الألفية الثالثة، مشروع "مسار الحج الإبراهيمي" بالتشارك مع فرنسا في مسار "فرسان الهيكل" الذي تم تدشينه في عام ٢٠٠٦ والذي يرفع شعار مسار الحج الديني المقدس من فرنسا إلى القدس سيراً على الاقدام، وتدعمه تركيا في "المسار الصوفي" الذي من خلاله يحلم النظام التركي استعادة أمجاد الدولة العثمانية ، تهدف المبادرة إلى افتتاح مسار يقطع سيراً على الأقدام بتتبع خطى إبراهيم تموّله وزارة الخارجية الأميركية وتُنفّذه جامعة "هارفرد".
- مشروع "الولايات المتحدة الإبراهيمية": الذي طرحته جامعة فلوريدا الأميركية وتُقدّم الرؤية نموذجاً لهيكل سياسي يجمع كل الأطراف في الأرض بين نهري دجلة والفرات ونهر النيل، عبر إقامة اتحاد فدرالي يجمع ١٨ دولة عربية و"إسرائيل" وتركيا وإيران معاً . أي ما سيُعرف باسم الولايات المتحدة الإبراهيمية، أو ببساطة "الأرض المقدسة" . هذا الاتحاد يقوده الكيان الإسرائيلي وتركيا بحكم امتلاكهما للموارد والتكنلوجيا ، أما التمويل فسيكون من دول الخليج بسبب "التهديد الإيراني."
- مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان الذي تم إشهاره ٢٠٠٧ والذي تأسس على المبدأ الذي تبناه المؤتمر الأول لحوار الأديان عام 2003 والذي هو الحوار بين أتباع الأديان السماوية.
- مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات "كايسيد" الدول الموقعة على اتفاقية تأسيس المركز، وهي جمهورية النمسا والمملكة العربية السعودية ومملكة إسبانيا والفاتيكان ٢٠١٢ في فيينا – لمنع نشوب النزاعات والعداوات والأحقاد، ولتبديد المخاوف، وغرس قيم الاحترام المتبادل، بناء الجسور بين القيادات الدينية والسياسية .
- البحرين ٢٠١٨ أصدر العاهل البحريني الملك حمد بن عيسى آل خليفة أمرًا ملكيًا بإنشاء مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي، يتبع للديوان الملكي .

- كرسي صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة في جامعة سبينزا روما لتدريس الحوار والسلام والتفاهم بين الأديان، وذلك يوم الأحد (٢١ أكتوبر ٢٠١٨)، ضم ثلاثة مستويات لدرجة البكالوريوس في التاريخ، العلوم الاجتماعية والأديان ودرجة الماجستير في دراسات الأديان. ودرجة الدكتوراه في الأديان والتأملات الثقافية ومن المتوقع أن ينضم للكرسي الأكاديمي ٢٥٠ طالباً وطالبة للدراسة العام القادم.
- الدعوة إلى ما يسمى حوار الأديان: ونشر وتعزيز التسامح والتعايش، وإلى ما هنالك من هذه الشعارات، إقامة الصلوات المشتركة لأتباع الديانات الثلاث تحت رعاية شخصية سياسية ودينية عالية المستوى، وإقامة المؤتمرات والمنتديات مثل "التحالف الدولي للحرية الدينية" الممول من قبل الخارجية الأمريكية بومبيو ٢٠١٩.
- في كانون الأول ٢٠٢١، ملك البحرين افتتح الكاتدرائية الكاثوليكية "سيدة العرب"، كأكبر كاتدرائية في منطقة الخليج العربي.
- في ٢٠٢١/٨/٢٣ نشر مستشار حاكم البحرين للشؤون الدبلوماسية خالد بن أحمد آل خليفة في تغريدة على حسابه الرسمي على "تويتر" صوراً "لأول صلاة في كنيس "الوصايا العشر" اليهودي في المنامة، ووصف "عودة صلاة السبت وتراتيل التوراة إلى الكنيس اليهودي في قلب المنامة لأول مرة من ١٩٤٧"، بال "(اللحظة التاريخية) لأبناء البحرين اليهود، وتاريخ يتجدد للتعايش الوطني في البحرين" بحسب قوله.
- في رمضان عام ٢٠٢٢ وبرعاية ملك البحرين أقيمت صلاة متعددة الأديان من أجل السلام، والتي تنظمها جمعية "هذه هي البحرين".
- بادرت مملكة البحرين بتعزيز التضامن الإنساني، ومن أبرزها موافقة جامعة الدول العربية على اقتراح جلالة الملك بإنشاء المحكمة العربية لحقوق الإنسان، ومقرها المنامة، واحتفالات الأمم المتحدة باليوم العالمي للضمير، ويوم الأخوة الإنسانية.
- تشارك البحرين كل عام وبكافة مؤسساتها باليوم الدولي للتسامح، الذي يصادف ١٦ تشرين الثاني من كل عام.

❖ تقدمت مملكة البحرين بمشروع قرار باعتماد يوم الخامس من أبريل من كل عام يوماً دولياً للضمير. وكان الخامس من إبريل ٢٠٢٠، اليوم الدولي للضمير في نسخته الأولى، وهو اليوم الذي أقرته المنظمة الدولية.

مما تقدم نلاحظ الخطوات الكثيرة المتخذة في سبيل دعم مشروع الإبراهيمية، خاصة وأن البحرين تعد المنفذ للسياسة الخارجية السعودية وتوجهاتها، وهو ما يعطينا انطباعاً عن مباركة المملكة العربية السعودية لهذه الخطوات ودعمها، وهو ما يفيد بخطوات تطبيعية قادمة بين السعودية وإسرائيل وقد بدأت في هذا الشهر بالسماح للطيران الإسرائيلي باستخدام الأجواء السعودية، كنتيجة لزيارة الرئيس بايدن إلى المملكة والتي طلب منها المضي في التطبيع مع إسرائيل.

سادساً: الاتفاق الابراهيمي ١٥ سبتمبر ٢٠٢٠

كانت اتفاقيات السلام التي جمعت بين العرب وإسرائيل تحمل اسم المدينة التي يتم توقيع الاتفاق فيها، مثل: اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩، واتفاقية أوسلو ١٩٩٣، واتفاقية وادي عربة عام ١٩٩٤. لذا فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمى فيها اتفاق للسلام باسم ديني (الاتفاق الابراهيمي) وهو ما يدعو إلى التساؤل كثيراً.

جرى توقيع الاتفاق الإبراهيمي بين كل من الإمارات والبحرين مع الكيان الصهيوني، وتم ذلك في البيت الأبيض في الولايات المتحدة في أيلول عام ٢٠٢٠، وتم تسمية هذا الاتفاق باسم "إبراهام"، وقد حضر مراسم التوقيع الرئيس ترامب ووفود من الدول الثلاث، وعند توقيع الاتفاق كان الرئيس الأمريكي ترامب يسخر قائلاً: "أردت تسمية هذا الاتفاق باسمي اتفاق ترامب"(١٤). ومن هذه الزاوية بدأ العديد من أركان إدارته بالحديث عن ضرورة وأهمية ترشيح الرئيس ترامب للحصول على جائزة نوبل للسلام، معتبرين أن هذه الفكرة الجديدة سيبنى عليها الكثير، وستغير مستقبل العالم كله(١٥).

تم تسمية ذلك الاتفاق بـ "اتفاق إبراهيم" لأن إبراهيم يعد الأب للديانات الثلاث، ففي اليهودية اسمه (أبرام) و(أبراهام) في المسيحية و(إبراهيم) في الإسلام.

يرى المنادون بالإبراهيمية أن إبراهيم هو أبو الأنبياء وبالتالي العودة إلى الديانة الإبراهيمية سوف تلغي الصراعات الدينية التي تقوم بين الأديان وخاصة بين الإسلام واليهودية. لكنهم يتناسون أن الصراع في فلسطين ليس صراعاً دينياً، بل هو صراع على الحقوق بين أناس أتوا من دول مختلفة من العالم إلى فلسطين، وبين أصحاب

الحق الفلسطينيون الذين يملكون الأرض وما عليها في فلسطين، كما أن هذه الدول هي دول علمانية تفصل الدين عن الدولة وقد نصت دساتيرها على ذلك، فكيف يكون الصراع صراعاً دينياً ؟

فالإبراهيمية ليست سوى (دس للسم في العسل)، تحت شعارات المحبة والتعايش والسلام، مستغلة حب الناس للسلام، الذي هو في النهاية كلمة جميلة تنال رضى الجميع وقبولهم .

سابعاً: أثر الدعوات الإبراهيمية على الصين

انطلاقا من فكرة فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التأريخ والإنسان الأخير)، حيث رأى أن نهاية العالم سوف تحصل عن طريق سيادة النموذج الأميركي، إلا أنه عمل مراجعات عام ٢٠١٠ وقال سيادة النموذج الأميركي سوف يحصل عن طريق صهر الأديان، ويوافق ذلك خطاب باراك أوباما حين تحدث عام ٢٠١٣ عن الدين العام العالمي، وذلك هو الدين الإبراهيمي العالمي الذي حسب مخططاتهم يجب أن يعتنقه العالم أجمع، بما في ذلك الصين التي لديها مجموعة ديانات غير إبراهيمية .

واليوم، أصبحت المعاهدة الإبراهيمية الأكثر شعبية لدى الرأي العام وفي الكونغرس من دون منازع فبينما تنقسم الولايات المتحدة حول الاتفاق النووي مع إيران، فإنها موحدة بقوة وراء المعاهدة الإبراهيمية، ومن ثم: فإن أي خطر يمس بالأخيرة سيشعل مشاعر الأكثرية الكبرى من الأميركيين، ويدفع بأي حكومة للتحرك للدفاع عنها ، إذاً هذا الملف يبدو وكأنه "القضية المركزية" لدى الشعب الأميركي، ومن ثم فمن يدعمها يدعم، ومن يعتدي عليها يتم الرد عليهم .

وفي ظل ما تتعرض له الصين من اتهامات بانتهاك حرية المسلمين الإيغوريين في شينجيانغ، والتي هي اتهامات أمريكية بالدرجة الأولى، لكننا شهدنا تطوراً سلبياً في الأيام الماضية. حيث صدرت تلك الاتهامات عن الأمم المتحدة والتي هي بلا شك أداة بيد الولايات المتحدة .

لقد كان هذا التقرير لافتاً للأنظار من حيث وقت إصداره، فالصين تعيش حالة من الاستقرار الداخلي، رغم محاولات التحريض الخارجية واللافت أيضاً أنه جاء متزامناً مع تزايد حدة التوتر والتصعيد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ضد الصين، والتي تمثلت بافتعال الأزمات في تايوان ومنطقة بحر الصين الجنوبي وهو ما يشير إلى احتمال نقل تلك الاتهامات ومحاولة تدويلها للضغط على الحكومة الصينية أكثر وأكثر، كما أنه من المحتمل الطلب من الدول التي تدعم فكرة الإبراهيمية إدانة تصرفات الحكومة الصينية، كونها تنتهك حرية مجموعة دينية تشكل جزءاً من الديانة الإبراهيمية، وهو ما ينذر بنقل الخلافات من المستوى

الرسمي إلى المستوى الشعبي، ولا نستبعد في المستقبل ظهور فتاوى تكفر الحكومة الصينية وتدعو للجهاد ضدها، كما حصل في أفغانستان سابقاً، بذريعة الدفاع عن المسلمين.

فواشنطن تسعى إلى استحضار فكرة الجهاد في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي، بذريعة أنه كان يمثل الشيوعية (الملحدة) التي تقاتل المسلمين، وقد نجحت حينها في حشد عدد كبير من الجماعات المتطرفة المحشوة بفكر تكفيري، وفتاوى شيطانية، ودعم مالي من دول كانت تأتمر بإمرة الولايات المتحدة، في محاولة لتكرار تلك التجربة ضد الصين، والمشكلة تكمن في أن الكثير من العرب والمسلمين يتأثرون وبشكل كبير بالدعاية الغربية، وينجرون خلف انتماءاتهم وغرائزهم فيصبح من السهل التأثير بهم عبر الحملات الدعائية الغربية التي تروج لفكرة اضطهاد المسلمين في الصين.

مع الإشارة إلى أن الصين اليوم تقدم نموذجاً جديداً للدول العظمى التي تسعى إلى نشر المحبة والسلام وتحقيق المصالح المشتركة، بعيداً عن القوة والسيطرة والظلم ونهب خيرات الشعوب، هذا النموذج يجعل من القوة الناعمة الصينية القوة الأهم في العالم، ويجعل القيم والمبادئ السياسية للصين تلقى اهتماماً وترحيباً من غالبية دول العالم، أما المتطرفون فهم ليسوا سوى امتداد لسياسة راديكالية تغذي التطرف والتكفير، وتسعى إلى نشره في جميع دول العالم، وهم ورقة بيد الولايات المتحدة تسعى لاستخدامهم لإثارة القلائل في بلد أصبح من المستحيل إيقاف نهضته.

الخاتمـــة

مما تقدم نرى أن الإبراهيمية ليست سوى مشروع سياسي هدفه توظيف الدين لحل الخلافات السياسية في منطقة الشرق الأوسط، انطلاقاً من تحديد أن هدف الصراع في المنطقة هو صراع ديني بين المسلمين واليهود على المقدسات، بينما هو في الواقع صراعاً قانونياً أساسه قدوم مستوطنين من عدة دول في العالم، قاموا بالاستيلاء على ممتلكات الشعب الفلسطيني، وهجروه بالقوة. وبالاعتماد على دعم الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

اعتمد المشروع على توقيع بعض الدول الخليجية لاتفاقيات سلام مع إسرائيل سميت الاتفاقيات الإبراهيمية، لكن هذه الدول في الواقع ليس بينها وبين إسرائيل أية خلافات أو أراض محتلة، وهو ما يطرح تساؤلات كبيرة حول الدور الوظيفي المرسوم لتلك الدول، والمطلوب منها تنفيذه، بالاعتماد على مفردات جميلة وجذابة يجمع عليها الجميع، مثل: المحبة والسلام والإخاء والعدالة، كما أن المشروع مدعوم وبقوة من قبل دول لطالما نادت بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة، وهو ما يثير الريبة والشك في مصداقية تلك الدول.

الهوامش والمراجع

١. أبو زيد بن محمد مكي، الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ٢٠٠٣، ص٥.

٢. فتحي المسكيني، الإبراهيميون والعدم؛ السيرة الخفية للاستخلاف، تاريخ ٣ يوليو ٢٠١٨، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

٣. جوزيف مسعد، الاتفاق الإماراتي الإسرائيلي: اتفاق إبراهيم أم استعمار إسرائيليّ؟، موقع نون بوست، تاريخ: ٢٠٢٠/٨/٣٠، على الرابط: shorturl.at/kBPW1

٤. مجلة الموقف، مقابلة مع روجيه جارودي، دار ابن الجوزي، ١٩٨٤.

٥. جوزيف مسعد، الاتفاق الإماراتي الإسرائيلي: اتفاق إبراهيم أم استعمار إسرائيليّ؟، موقع نون بوست، تاريخ: ٢٠٢٠/٨/٣٠، على الرابط: shorturl.at/kBPW1

٦. هبة جمال الدين، الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصانع القرار، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد ٢٦، العدد ١١٦، يناير ٢٠١٩، ص٤٧.

٧. عطية عدلان، الدين الابراهيمي والنظام الجديد، الجزيرة، تاريخ ٢٠٢١/١١/١٤، على الرابط: https://mubasher.aljazeera.net/opinions/2021/11/14/

٨. بهاء الخزعلي، الفيدراليات الإبراهيمية. منظماتها وجمعياتها . . . ! (الجزء الثاني)، معهد أبرار معاصر، تاريخ: ٢٠٢١/٥/٦، على الرابط: https://tisri.org/ar/?id=fo97c9o0

٩. محمد البهيّ، الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام، القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٨١، ص٣.

١٠. آل عمران: ١٩.

١١. مصطفى محمد علي، الإبراهيمية اختراع صهيوني للسيطرة على الشرق الأوسط، بتاريخ ٢٠٢٠/٩/٦، على الرابط: shorturl.at/jwJS9.

١٢. هبة جمال الدين، الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصانع القرار، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد ٢٦، العدد ١١٦، يناير ٢٠١٩، ص٣٣.

١٣. نعيمة عبد الجواد، الإبراهيمية الجديدة. . وخدعة التسامح، تاريخ: ٢٠٢٠/١٠/١٥، على الرابط: ٢٠ shorturl.at/agryU.

١٤. هاني رمضان طالب، الإبراهيمية بين التعايش والسيطرة، بحث منشور بموقع مركز دراسات الوحدة العربية، بتاريخ ٢٠٢١/٢/٢٠.

١٥. وليد فارس، على الجبهة "الإبراهيمية" أن تتحرك، اندبندنت عربية، تاريخ: ٩ شباط ٢٠٢١،